

الرُّكُوعُ

عناصر الموضوع

٢٩٤	مفهوم الركوع
٢٩٥	الرُّكُوع في الاستعمال القرآني
٢٩٦	الأنفاظ ذات الصلة
٢٩٨	الحث على الركوع
٣٠٧	بين الركوع والسجود
٣١٣	ثمرات الالتزام بالركوع

مفهوم الركوع

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادة (ركع) تدل على الانحناء^(١)، والركوع في اللغة له معاني متعددة، منها: الركوع: الانحناء، ومنه ركوع الصلاة. يقال: ركع الشيخ، أي: انحنى من الكبر^(٢). وتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي، وتارة في التواضع والتذلل، إما في العبادة، وإما في غيرها^(٣).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

وعليه يمكن القول بأن الركوع في الاصطلاح: هو الانحناء لذي قدر ومكانة في نفس فاعله؛ تعظيماً وإجلالاً؛ للدلالة على الخضوع والاستسلام والطاعة تعبدًا^(٤).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ٤٣٤.

(٢) الصحاح، الجوهري ٣/ ١٢٢٢.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٦٤.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص ١٨١.

الركوع في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ركع) في القرآن بصيغ متعددة، بلغت (١٣) مرة^(١).
والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]
فعل الأمر	٤	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]
اسم الفاعل	٥	﴿وَقُلْ دَاوُدُ إِنَّمَا فَنَنِّتُهُ فَاسْتَغْفِرَ رَبِّي وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]
الجمع	٣	﴿وَمِنْهُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالُوا لَنُفَصِّلَنَّ الْبَقَرَةَ وَلَنُجْعَلَ لَهَا مَوَازِيحَ﴾ [الحج: ٢٦]

وجاء الركوع في الاستعمال القرآني على ثلاثة أوجه^(٢):

الأول: الصلاة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] أي: صلّوا مع المصلّين.

الثاني: السجود: ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرَ رَبِّي وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] يعني: ساجداً.

الثالث: الركوع بعينه: ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم ص ٥٩٣.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٢٤٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ السجود:

السجود لغة:

سجد في اللغة: خضع، وأصله التطامن والتذلل، وسجد: طأطأ رأسه وانحنى^(١).

السجود اصطلاحًا:

هو إلصاق الرأس والأطراف بالأرض على هيئة مخصوصة في الصلاة وغيرها، يقول فيها العبد ألفاظًا مخصوصة؛ تعظيمًا وإجلالًا للمعبود، وخضوعًا وانكسارًا من العبد على سبيل التعبد.

الصلة بين الركوع والسجود:

إن كلاً من الركوع والسجود يدل على الانحناء^(٢)، غير أن السجود يكون بانحناءٍ أشد، ويجوز أن يفعل خارج الصلاة تعبدًا لله.

٢ القنوت:

القنوت لغة:

يأتي بمعنى الطاعة، وطول القيام، والصلاة، والسكوت^(٣).

القنوت اصطلاحًا:

هو طول القيام في الصلاة طاعة لله، على هيئة مخصوصة، في وقت مخصوص، تعظيمًا لله وإجلالًا.

وقيل: الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام^(٤).

الصلة بين الركوع والقنوت:

كلاهما من أفعال الصلاة، لكن تختلف فيهما الهيئة والأقوال، فالقنوت يكون بقراءة القرآن والدعاء، والحمد والثناء، بينما الركوع لا يجوز فيه قراءة القرآن.

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٣٦٦.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٧١٤/١.

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري ٦٨/١، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ١٤٧.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤٩٠/٢.

٣ الخشوع:

الخشوع لغة:

تدل مادة (خ ش ع) على التظامن. يقال: خشع، إذا تظامن وطأطأ رأسه، يخشع خشوعًا. وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخذاء، والخشوع في الصوت والبصر^(١).

الخشوع اصطلاحًا:

إقبال المرء بقلبه على الله في دعائه وصلاته؛ خوفًا وانقيادًا، مع خضوع الجوارح والأعضاء^(٢).

الصلة بين الركوع والخشوع:

الركوع عمل يقوم به المرء ظاهرًا على هيئة مخصوصة، بانحناء القامة والأعضاء، بينما الخشوع يكون محله القلب، ويظهر أثره بهيئة مغايرة على أعضاء الإنسان بسكونها، وعلى الصوت فيخفت، وعلى البصر فيخضع.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/١٨٢.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٨٣، الفروق اللغوية، العسكري ص ٢٤٨، التعريفات، الجرجاني ص ٩٨.

البحث على الركوع

لقد وردت لفظة «الركوع» ومشتقاتها في الأسلوب القرآني بأوامر ربانية في ثلاثة أساليب صريحة، تحت على الركوع، وورد أسلوب واحد بلفظ السجود مؤولاً بالركوع، وسنرى ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: الأسلوب الصريح:

وقد استخدم في ذلك عدة أساليب:

١. أسلوب فعل الأمر.

نحو قوله: ﴿وَأَزْكُوا﴾، ﴿وَأَزْكِي﴾.

وقد جاء ذلك في أربع آيات، منها:

قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾ [البقرة: ٤٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾، هذا أمر من الله تعالى لمن ذكر من أحبار بني إسرائيل ومنافقيها -أي: منافقي المدينة- بالإنابة والتوبة إليه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والدخول مع المسلمين في الإسلام، والخضوع له بالطاعة، ونهي منه سبحانه وتعالى لهم عن كتمان ما قد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بعد تظاهر حججه عليهم^(١).

قال ابن عطية رحمه الله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾، قال قوم: جعل الركوع -لما كان

من أركان الصلاة- عبارة عن الصلاة كلها، وقال قوم: إنما خص الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع^(٢).

وقال أيضاً: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾، أي: صلّوا مع المصلين، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع؛ لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، وكأنه قال: صلّوا صلاة ذات ركوع، قيل: وإعادته بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لهذا، أي: صلّوا مع الذين في صلواتهم ركوع، فالأول: مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين^(٣).

وقال الواحدي رحمه الله: «قال المفسرون: قوله تعالى: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾، معناه: وصلوا مع المصلين محمد وأصحابه، فعبر بالركوع عن جميع الصلاة؛ إذ كان ركنًا من أركانها كما عبر باليد عن عمل الجسد في قوله: ﴿ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠].»

وقيل: إنما عبر بالركوع عن الصلاة؛ لأنه أول ما يشاهد، مما يدل على أن الإنسان يؤدي الصلاة، وإنما قال: ﴿وَأَزْكُوا﴾ بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وكان الركوع داخلًا في الصلاة؛ لأنه أراد الحث على إقامة

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ١٩٩/١.

(٣) المصدر السابق، وانظر: أحكام القرآن، القرطبي ٣٤٥/١.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦١١/١.

خشع له من خلقه، شكرًا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس، والتفضيل على نساء عالم دهرك، وقد بينا معنى الركوع والسجود بالأدلة المؤكدة على صحته، وأنها عين الخشوع لله، والخضوع له بالطاعة والعبودية^(٣).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «في تفسير قول الله تعالى ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا﴾: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله اركعوا لله في صلاتكم، ﴿وَاسْجُدُوا﴾ له فيها ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، يقول: وذّلّوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة لتفلحوا بذلك»^(٤).

وقال الله جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المزمل: ٤٨].

وعن مجاهد بن جبر رحمه الله: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، قال: «إذا قيل لهم صلّوا لا يصلّون»^(٥).

قال الإمام الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذبين بوعيد الله أهل التكذيب به:

(٣) جامع البيان، الطبري ٤٠٠/٥.

(٤) المصدر السابق ١٦/٦٣٨-٦٣٩.

(٥) تفسير مجاهد بن جبر ص ٦٩٣.

الصلاة جماعة.

وقيل: لأنه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع، فذكر ما اختص بشريعة الإسلام، والآية خطاب لليهود»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، أي: صلّوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة؛ لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته لها».

وقال أيضًا: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآياته، فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية والبدنية والمالية»^(٢).

وقال الله عزّ ثناؤه: ﴿يَمْرُسُ اقْنُتُ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدُ وَأَرْكَعُ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

أمر صريح من الله لمريم عليها الصلاة والسلام بالخضوع له بالطاعة، وهذا ما أشار إليه الإمام الطبري رحمه الله بقوله: «فتأويل الآية إذن: يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصًا، واخشعي لطاعته وعبادته، مع من

(١) التفسير البسيط، الواحدي ٤٤٦/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٥.

اركعوا، لا يركعون».

واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه:

فقال بعضهم: «يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] يقول: يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود، من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا».

وقال آخرون: «بل قيل ذلك لهم في الدنيا».

وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ «أي: عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان؛ لأن المقصود بالآية عنده هو الركوع نفسه». وقال قتادة في آخرين: «هذه حال كفار قريش في الدنيا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم وهم لا يجيبون، وذكر الركوع عبارة عن جميع الصلاة، وهذا قول الجمهور».

وقال قتادة عن ابن مسعود رضي الله عنه: «أنه رأى رجلاً يصلي ولا يركع، وآخر يجز إزاره، فضحك، فقيل له: ما يضحكك؟ قال: أضحكني رجلاً؛ أما أحدهما فلا يقبل الله

صلاته، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه»^(١). قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: إذا قيل لهؤلاء المشركين: ﴿ارْكَعُوا﴾، أي: صلّوا: ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾، أي: لا يصلّون».

قال مقاتل: «نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك فيهم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلموا)، وأمرهم بالصلاة فقالوا: لا ننحني فإنها مسبةٌ علينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود)»^(٢).

قال ابن العربي رحمه الله: «هذه الآية حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركنًا في الصلاة، وقد انعقد الإجماع عليه، وظن قوم أن هذا إنما يكون في القيامة، وليست بدار تكليف فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويلّ وعقاب، وإنما يدعون إلى السجود كشفاً لحال الناس في الدنيا، فمن كان يسجد يمكن من السجود، ومن كان يسجد رثاءً لغيره صار ظهره طبقاً واحداً».

وقيل: أي: إذا قيل لهم اخضعوا للحق

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/٦١٢-٦١٤، الدر المنثور، السيوطي ٦/٣٠٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٧٩١٣، ٤٣٨/٢٩، وأبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر الطائف، رقم ٣٠٢٦. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم ٤٧١١.

بجمع تَضَلَّ البلق في حجراته
تري الأكم فيه سَجْدًا للحوافر
ويتابع ابن عطية قائلًا: «إن ذكر الركوع
هنا وتخصيصه من بين سائر أحوال العبادة،
إنما كان لأن كثيرًا من العرب كان يأنف من
الركوع والسجود، ويرأها هيئة منكرة؛ لما
كان في أخلاقهم من العجرفة»^(٦).
٢. أسلوب الوصف الدال على
المدح.

وقد جاء في ثمانية مواضع، منها:
قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَهُ وَخَرَّ
رَأْسَهُ وَانَابَ﴾ [ص: ٢٤].
وقال الله تعالى: ﴿الرَّكَعُوتَ
السَّجْدَتَيْنِ﴾ [التوبة: ١١٢].
وقال عز وجل: ﴿وَهُنَّ رَكَعُونَ﴾ [المائدة:
٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾
[البقرة: ٤٣].
وقال سبحانه: ﴿وَأَزْكِي مَعَ الرَّاكِعَاتِ﴾
[آل عمران: ٤٣].
وقال تعالى: ﴿وَالرُّكْعُ السُّجُودَ﴾ [البقرة:
١٢٥].

على أن السجود يأتي بمعنى الخضوع
والتواضع، موافقًا للغة، وانظر: كتاب
الصَّاحِي، لابن فارس ٢٦١، حيث ورد
بلفظ: بجمع تَضَلَّ... وأورد رواية ثانية:
بجيش تَضَلَّ...
(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/ ٥١٠.

لا يخضعون، فهو عام في الصلاة وغيرها،
وإنما ذكر الصلاة، لأنها أصل الشرائع بعد
التوحيد. وقيل: الأمر بالإيمان؛ لأنها لا
تصح من غير إيمان^(١).

قال الواحدي رحمه الله: «إذا أمروا
بالصلوات الخمس لا يصلّون مع محمد
صلّى الله عليه وسلم»^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
أَزْكُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، أي:
إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا
من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك
واستكبروا عنه^(٣).

قال البغوي رحمه الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
أَزْكُوا﴾، يعني: صلّوا، ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا
يصلّون^(٤).

قال ابن عطية رحمه الله في قوله تعالى:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَزْكُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ «هي حكاية
حال المنافقين في الآخرة إذا سجد الناس،
فأرادوا السجود فانصرفت أصلابهم إلى
الأرض، وصارت فقراتهم كصياصي البقر،
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره».
وقال بعض المتأولين: «عني بالركوع
التواضع» كما قال الشاعر^(٥):

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٦٢٧.

(٢) التفسير البسيط، الواحدي ٢٣/ ١٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٥٣٨.

(٤) معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٩٩٣.

(٥) الشاعر هو: زيد الخيل، إذ يستشهد بالبيت

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال وتعالى: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

٣. أسلوب الوصف الدال على الذم.

وقد ورد في موضع واحد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]..

٤. الأمر بالركوع بلفظ السجود.

وقد ورد بلفظة ﴿سَجْدًا﴾، في ثلاثة مواضع هي:

قال الله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾ [النساء: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾ [الأعراف: ٦١].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «القول في: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾، فإن ابن عباس كان يتأول قوله تعالى: ﴿سَجْدًا﴾ بمعنى: الرُّكْع»^(١).

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾ «ركعاً من باب صغير»^(٢).

(١) جامع البيان ١/ ٧١٤-٧١٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، ٢/ ٢٦٢،

وعن ابن عباس من طريق آخر في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾، قال: «أمروا أن يدخلوا ركعاً».

قال أبو جعفر: «وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظمًا بذلك، فكل منحني لشيء تعظيمًا له وخشوعًا فهو له ساجد»^(٣).

وقال الإمام الواحدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعاً، وهو شدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين»^(٤).

وجاء بلفظ ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾، بموضع واحد.

قال تعالى: ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «معنى ذلك: ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، ثم حين تركع، وتسجد، وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ «قيامك وركوعك وسجودك»^(٥).

ونقل مثل هذا التفسير عن عكرمة أيضاً، وقد رجّح الإمام الطبري هذا القول بعد ذكره للأقوال الواردة في تفسير هذه الآية.

ويمكن أن نضيف أسلوباً غير صريح يحث على الركوع: وهو الأمر بإقامة

وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) جامع البيان، الطبري ١/ ٧١٤-٧١٥.

(٤) البسيط ٢/ ٥٥٨.

(٥) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٦٦٦-٦٧٠.

وبجعل الركوع صفة من الصفات الممدوحة للمؤمنين المتبعين لشرع الله ورسوله، وجعل سبحانه وتعالى المكافأة على ذلك بأن الراكع وليه الله ورسوله، بل أوجب موالاتهم وحبهم بأداة الحصر (إنما): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] (٣).

وبمدح عباد الله المؤدين للصلوات المفروضة، والمكثرين من النوافل بعدة صفات، كان الركوع الصفة الخامسة، بقوله: ﴿التَّكِيُّونَ الْعَكِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّجِدُونَ الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] (٤).

مدح الله عز وجل للمكثرين من الركوع والسجود المتجهين إلى الكعبة المشرفة في صلاتهم وركوعهم، سواء أكانوا حولها أم بعيدين عنها.

بل أمر سبحانه خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بتطهير وتهئة بيته المحرم لهؤلاء: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنشَأْنَا وَنُوحًا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا

الصلاة، فإن ذلك يتضمن الأمر بالركوع؛ حيث إن الركوع جزء من الصلاة، وما أكثر الآيات الواردة في ذلك، ولا حاجة للإطالة في ذكرها.

ثانيًا: الثناء على الراكعين:

يعتبر الركوع من أهم الصفات التي يتميز بها العبد المسلم بخضوعه لربه جل جلاله، منحنيًا بهامته لخالفه ورازقه بكل عبودية وتعظيم وإخلاص لله تعالى. ولقد أثنى الله عز وجل على الراكعين في أكثر من آية وردت بآيات الذكر الحكيم، وبعدة أساليب، أهمها:

١. المدح المباشر للراكعين.

وقد ظهر ذلك بمدحه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه؛ بأنهم يركعون لله سبحانه، ولهذا أمر اليهود بأن يخضعوا لله سبحانه، وأن يتبعوا رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام ويكونوا مع أتباعه، خاضعين لله ورسوله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] (١).

وبأمر الله لمريم عليها السلام بأن تكون راکعة مع الراكعين لله تعالى، مخلصه له بالعبادة اصطفاؤها وتفضيلها على العالمين: ﴿وَأَزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] (٢).

(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٤.

(٤) البسيط، الواحدي ١١/ ٧١.

(١) المصدر السابق ١/ ٦٦٦.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٤٠٠.

يَبْقَى لِلطَّائِفِينَ وَالْمَعْكُفِينَ وَالرُّكَّعَ الشُّجُودَ ﴿١﴾

[البقرة: ١٢٥] (١).

مدح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم من المكثرين في الصلاة، والركوع والسجود من أجل أركان الصلاة: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ [الفتح: ٢٩] (٢).

دلالة على محبة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حال رؤيته له متقلبا في صلاته وركوعه وسجوده بقوله: ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

٢. الركوع سبب من أسباب قبول التوبة والفلاح.

فقد جعل الله سبحانه الركوع سببا للتوبة عن بني إسرائيل، وشكرا لله عز وجل على أن سهل لهم فتح بيت المقدس، فقال: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] (٣).

وقال: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سَجْدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤] (٤).

وقال: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سَجْدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾

[الأعراف: ١٦١] (٥).

وكلها أتت كما قال ابن عباس ومن وافقه بمعنى «ركعا منحنيين خاضعين لله سائلينه أن يحط عنهم سيئاتهم، ولكن بني إسرائيل خالفوا أمر الله جل ثناؤه، فلم يدخلوا راكمين، إنما دخلوا مترحفين على أستاذهم -وفي رواية على أوراكنهم-، مخالفين لأمر الله فاستحقوا الرجز من رب السماء» (٦).

ونرى ذلك واضحا في قبول التوبة والفلاح بقصة داود عليه الصلاة والسلام الواردة في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِنِّي نَجْمٌ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَلَائِئِ لَبَنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ﴾ [ص: ٢٤ و ٢٥].

أي: ألقى بنفسه نحو الأرض متطامنا متواضعا لله عز وجل، سائلا ربه بأن يغفر له ذنبه، تائبا مما وقع فيه من الخطأ. قال الحسن بن الفضيل: «سألني عبد الله بن طاهر عن قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، هل يقال للراكن خرا؟ قلت: لا، ومعناه، أي: ساجدا بعد ما كان راكما» (٧).

(١) جامع البيان، الطبري ١٦/٥١٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٦٨٩/٧، الوسيط، الواحدي ٣٢٦/٢٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣٥/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/١٣٤.

(٤) المصدر السابق ١/٧١٢.

(٥) المصدر السابق ٤/٢٣٥، ٧١٢.

(٦) التفسير البسيط، الواحدي ٥٥٨/٢.

(٧) معالم التنزيل، البغوي ٨٠٠/٢.

ثالثاً: بيان حسن الجزاء للراكعين في الآخرة:

يقوم المؤمن بطاعته لربه، وخضوعه لأوامره، واجتناب نواهيه، مخلصاً لله عز وجل في جميع أقواله وأعماله، مبتغياً بذلك جزيل التوفيق في الحياة الدنيا، ورضى الله تعالى والفوز بجنته في الآخرة.

وقد رتب الله سبحانه على من اتصف بصفات الطاعة (بالركوع والسجود له) جزاء عظيماً في الآخرة، نستخلصها من آية سورة الفتح، كما يأتي:

أولاً: وعد الله لهم بمغفرته ورضوانه، وإدخالهم النعيم المقيم في جنته.

قال الله تعالى: ﴿تَرْبُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ﴿تَرْبُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]. تراهم ركعاً أحياناً لله في صلاتهم، سجداً أحياناً ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار، ورحمة بعضهم بعضاً ﴿فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، وذلك برحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم فيدخلهم جنته، وأن يرضى عنهم ربهم، وقوله: ﴿مَغْفِرَةً﴾، يعني: عفواً عاماً عما مضى من ذنوبهم وسيء أعمالهم بحسنها.

٣. ذم الذين لا يركعون لله تعالى. فقد ذم الله الذين لا يركعون له في الدنيا، وهتدهم بأن يفضحهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة في أرض المحشر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، ﴿وَيَلَّيْهُمْ يَوْمَئِذٍ الْمَكِيدِينَ﴾ [المرسلات: ٤٨-٤٩].

وإذا استخدمنا مفهوم المخالفة لهذا النص اقتضى مدح من كان يركع لله في الدنيا فهو ناجٍ برحمة الله تعالى يوم القيامة من عذاب جهنم، مستحق للفوز برضوانه وجنته.

قال مقاتل رحمه الله في تفسير هذه الآية «قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلموا)، وأمرهم بالصلاة، فقالوا: لا ننحني؛ فإنها مسبةٌ علينا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود)»^(١).

ورجح الإمام ابن عطية: «بأن ذكر الركوع هنا وتخصيصه من بين سائر أحوال العبادة، إنما كان لأن كثيراً من العرب كان يأنف من الركوع والسجود، ويراها هيئة منكرة، لما كان في أخلاقهم من العجرفة»^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/٦٢٧.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/٥١٠.

وقوله: ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: وثوابًا جزيلًا، وذلك الجنة^(١).

وزاد ابن كثير رحمه الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. وعدهم الله مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا. ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم^(٢).

ثانيًا: علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة، يعرفون بها؛ لما كان من سجودهم له في الدنيا، ثم اختلف أهل التأويل في «السيما» الذي عناه الله في هذا الموضع:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة». وقال الحسن رضي الله عنه وعن خالد الحنفي وعطية: «مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة تكون أشد بياضًا»، وهو كقوله سبحانه: ﴿تَرَوْنَهُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةً النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

وهناك أقوال أخرى وردت في بيان معنى هذه السيمة، ذكرها ابن كثير ورجحها جميعها، ولكنه قدّم هذه العلامة وأنها ستكون لهم في الآخرة، وذكر عدة أحاديث

في ذلك منها، قال: «سمعت شبيبًا يقول: عن مقاتل بن حيان، قال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾» [الفتح: ٢٩]. قال: النور يوم القيامة^(٣).

ثالثًا: ونرى في المقابل أن الله عز وجل توعد من لم يركع ويخضع له في الدنيا بالعذاب الشديد يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾^(٤) وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿[المرسلات: ٤٨-٤٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه، فقال بعضهم: يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾» [المرسلات: ٤٨].

يقول: يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود، من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا^(٥).

وقال آخرون: «بل قيل ذلك لهم في الدنيا»^(٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) جامع البيان، الطبري ٢٣/٦١٢-٦١٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/٦٢٧.

(١) جامع البيان، الطبري ٢١/٣٢١-٣٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٢٣٥.

[الحج: ٧٧].

وغير ذلك مما ورد في شأن الركوع أو السجود.

من الناحية الشرعية:

نجد أن الركوع أو السجود أو كليهما كانا عند جميع الأمم وفي شرائعهم المنزلة، كما أشار الله عز وجل إلى ذلك بقوله: ﴿يَتَمَرِّمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِى مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفِرُ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].
وقوله سبحانه آمراً إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلظَّالِمِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ الشُّجُودَ﴾ [الحج: ٢٦].

وأمره سبحانه لإبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام في موضع آخر: ﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ وَالرُّكَّعَ الشُّجُودَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

بل ذم الله سبحانه وتعالى من لم يركع له في الدنيا، وأن له العذاب الشديد يوم القيامة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [١٨] وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُنْكَذِبِينَ [المرسلات: ٤٨-٤٩].

بين الركوع والسجود

إذا أمعنا النظر في لفظتي الركوع والسجود سواء من الناحية اللغوية، أو من الناحية الاصطلاحية، نجد بينهما توافقاً في جوانب، وتبايناً في جوانب أخرى، وسنفصل ذلك فيما يلي:

أولاً: جوانب التوافق:

من الناحية اللغوية:

يتفقان في أن كلا منهما يدل على الخضوع والانحناء والذل والخوف لشيء قوي قاهر، سواء كان للمخلوقات، أو كان خضوعاً لله سبحانه وتعالى بالطاعة له، والانقياد لشرعه.

وعلى هذا يمكن تفسير عبادة غير الله تعالى: بأن الناس اعتقدوا فيما يعبدونه من دون الله تعالى القوة والبطش، فذلوا لآلهتهم وعبدوها وقدموا لها القربان، وكانوا يدخلون أماكنها وهم يركعون، أو يسجدون، أو راكعين ساجدين.

أما المسلم فلا يركع إلا لله عز وجل، فهو خالقه والمنعم عليه؛ طمعاً في مرضاته وفوزه بجنته، وخوفاً من غضبه وعذابه، فيكون الركوع والسجود في الصلاة شكراً لله عز وجل، وطلباً لعبادته، وتعظيماً لقدره، وتقرباً إليه، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبَدُوا﴾

ثانيًا: جوانب التباين:

من الناحية اللغوية:

الركوع هو: انحناء وخفض للرأس والظهر بدون أن يصل الراكع إلى الأرض، أما السجود فإنه لابدٌ للساجد من وضع جبهته وأنفه على الأرض، وعليه فالسجود أكثر خضوعًا وتذللًا من الركوع؛ لذا ورد في الحديث: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء) ^(١).

من الناحية الشرعية:

فالركوع انحناء للظهر واستقامته مع الرأس ومسك اليدين للركبتين، ويكون فيه تعظيمٌ للربّ بقول الراكع: (سبحان ربي العظيم) ثلاثًا.

أما السجود فهو وضع الجبهة مع الأنف واليدين والركبتين وباطن أصابع القدمين على الأرض، ويكون فيه التسبيح لله تعالى العلي القهار بقول الساجد: (سبحان ربي الأعلى) ثلاثًا، ويكون فيه الدعاء بما يشاء العبد، ويكون فيه أقرب إلى الله تعالى، وعلى هذا جاء نص الحديث التالي: (فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم).

لذلك إذا استقرنا الآيات التي ذكر فيها

الركوع والسجود، نرى تقديم الركوع فيها على السجود دائمًا، ماعدا آية آل عمران رقم ٤٣، ففيها تقديم السجود على الركوع، وسنرى تعليل ذلك، ونجد أيضًا أن ترتيب الركوع في الصلاة يكون قبل السجود، ولا يتوصل إلى السجود إلا بالركوع، فالركوع بداية الخضوع، والسجود كمال الخضوع ونهايته، وكلاهما لا يكون إلا لله ربّ العالمين.

ثالثًا: الركوع بمعنى السجود:

بالرجوع إلى نصوص الآيات التي وردت بالركوع، نرى أن لفظة الركوع تصرف إلى حقيقتها الشرعية واللغوية ما لم يكن هنالك صارف إلى معنى آخر، وأنه ركن من أركان الصلاة، فعبر الله تعالى بالركوع عن الصلاة التي فيها الصلة به والخضوع له، لكننا نجد أن الركوع ورد بمعنى السجود في:

أولاً: قول الله تعالى حكاية عن نبيه داود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

فقد فسرها الإمام الطبري رحمه الله: «فخر ساجدًا لله، ورجع إلى رضى ربه، وتاب من خطيئته» ^(٢).

وقال الحسين بن الفضل: «المعنى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم ٤٨٢.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٠ / ٦٤.

﴿أَزْكُمُوا لَا يَزْكُمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه، فقال بعضهم: يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَزْكُمُوا لَا يَزْكُمُونَ﴾، يقول: يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود. من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا»^(٥).

قال ابن عطية رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَزْكُمُوا لَا يَزْكُمُونَ﴾، قيل: هي حكاية حال المنافقين في الآخرة إذا سجد الناس، فأرادوا السجود فانصرفت أصلاهم إلى الأرض وصارت فقراتهم كصياصي البقر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره»^(٦).

رابعاً: السجود بمعنى الركوع:

ذكرنا سابقاً أنه ورد لفظ السجود بمعنى الركوع في ثلاثة مواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدِبًا﴾ [النساء: ١٥٤].

(٥) جامع البيان، الطبري ٢٣/٦١٢-٦١٤.

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/٥١٠.

(خرّ من ركوعه)، أي: سجد بعد أن كان راکعاً^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في (ص) وقال: (سجدها داود عليه السلام توبةً، ونسجدها شكراً)^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية سعيد بن جبير ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾، ساجداً.

وقال الواحدي رحمه الله: «ويجوز أن يعبر بالركوع عن السجود، لأن الركوع في اللفظ معناه الانحناء، ولا خلاف بين المفسرين أنه خرّ ساجداً»^(٣).

قال الإمام البغوي رحمه الله: ﴿فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا﴾، أي: ساجداً، عبّر بالركوع عن السجود، لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألتني عبد الله بن طاهر عن قوله: ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، هل يقال للراعي خرّ؟ قلت: لا، ومعناه: فخرّ، أي: ساجداً، بعد ما كان راکعاً^(٤).

ثانياً: وقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٧/٣٤١.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، ٥/٢، رقم ١٠٣١.

وصححه الألباني في صحيح أبي داود، الأم ١٥٤/٥.

(٣) التفسير الوسيط، الواحدي ١٩/١٩٠.

(٤) معالم التنزيل، البغوي ٢/٨٠٠.

وقال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾

[الأعراف: ١٦١].

وكلها وردت في أمر الله تعالى لبني إسرائيل بأن يدخلوا من باب حطة إلى بيت المقدس راكعين، خاشعين، شاكرين لله على أنه فتح عليهم مدينة بيت المقدس. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وأما قوله: ﴿سُجَّدًا﴾، فإن ابن عباس كان يتأوله بمعنى الركوع».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال: «ركعًا من باب صغير»^(١).

وعن ابن عباس من طريق آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال: «أمرؤ أن يدخلوا ركعًا».

قال أبو جعفر: «وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظّمًا بذلك، فكل منحنٍ لشيء تعظيمًا له وخشوعًا فهو له ساجد»^(٢).

وقال الإمام الواحدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعًا، وهو شدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين».

قال مجاهد رحمه الله: هو باب حطة من بيت المقدس، طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم، فلم يخفضوا ولم يركعوا، ودخلوا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، ٢/٢٦٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) جامع البيان، الطبري ١/٧١٤-٧١٥.

متزحفين على أستاذهم»^(٣).

وقال ابن كثير رحمه الله: «وحكي عن بعضهم أن المراد هنا بالسجود الخضوع؛ لتعذر حمله على حقيقته»^(٤).

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: ﴿سُجَّدًا﴾، أي: ركعًا، خضعًا، منحنين. وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله»^(٥).

وورد أيضًا في بعض التفاسير أن السجود أتى بمعنى الركوع في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّجْدِ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «ويرى تقلّبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه»^(٦).

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله: ﴿وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّجْدِ﴾ أي: المصلين، إذا صليت بالناس»^(٧).

خامسًا: الركوع والسجود منفردين ومجتمعين:

بالتتبع لآيات الركوع والسجود نجد أن آيات الركوع الواردة في القرآن الكريم أقل من آيات السجود عمومًا، وأن آيات الركوع

(٣) التفسير البسيط، الواحدي ٢/٥٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/١٣٤.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ١/٢٦.

(٦) جامع البيان، الطبري ١/٦٦٦-٦٦٩.

(٧) أضواء البيان ٦/٣٨٨.

وقوله: ﴿تَرْتَبِعُهُمُ رُكْعًا سَجْدًا﴾ [الفتح: ٢٩].
 مما يدل على تلازم الركوع مع السجود؛
 حيث جاءت مرتبة للركوع قبلاً ثم السجود،
 ولأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى السجود
 قبل المرور بالركوع، وهذا هو الترتيب في
 أداء الصلاة، الركوع أولاً ثم يعقبه الرفع منه
 ثم السجود، وكلاهما يدلان على محض
 الخضوع والخشوع لله تعالى.
 وجاء الركوع والسجود في آية واحدة
 مجتمعين؛ ولكن بتقديم السجود على
 الركوع، في قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَازْكُرْ﴾
 [آل عمران: ٤٣].

فلم قدم السجود هنا على الركوع؟
 وللمفسرين في بيان سبب تقديم السجود
 على الركوع في هذه الآية أربعة أقوال،
 نبسطها لبيان الحكمة في ذلك:
 القول الأول: الواو هنا للجمع لا
 للترتيب، وليس فيه دليل على المبدوء به.
 فقدم السجود لفظاً، وهو مؤخر معنى^(١).
 القول الثاني: أن السجود كان مقدماً في
 شريعة زكريا عليه الصلاة والسلام وغيره من
 أنبيائهم.

قال المنتجب الهمداني: «أي قيل لمريم:
 افعلي كليهما، وقد ثبت في الصدور واستقر
 في النفوس تقديم الركوع على السجود،

جاءت منفردة بالركوع في آيات، ومجموعة
 مع السجود في آيات أخرى.

١. مجيء الركوع منفرداً.
 أنت آيات الركوع منفردة لم يذكر معها
 السجود بثلاثة مواضع، هي:

- لجماعة المصلين كما في قوله تعالى:
 ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرُّكْعَيْنِ﴾ [البقرة: ٤٣].
- وقوله: ﴿وَهُم رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].
- ولمن طلب منهم الصلاة بقوله: ﴿وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات:
 ٤٨].

• خاص لمريم عليها الصلاة والسلام
 في قول الله عز وجل: ﴿وَأَزْكِي مَعَ
 الرُّكْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ٤٣].

• خاص بدادود عليه الصلاة والسلام في
 قوله تعالى: ﴿وَحَرَّارُكْعًا وَأَنَابٌ﴾ [ص:
 ٢٤].

٢. مجيء الركوع والسجود
 مجتمعين.

غالب الآيات التي ورد فيها الركوع،
 قرن بالسجود؛ كقوله تعالى: ﴿وَالرُّكْعُ
 السُّجُودُ﴾ [البقرة: ١٢٥]، [الحج: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿الرَّكَعَتَا
 السَّجْدَتَا﴾ [التوبة: ١١٢].
 وقوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج:

[٧٧].

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي ٢٤٧/٥ - ٢٥٠.

والقوم -أي: العرب- إذا أمنوا اللبس تلعبوا بألفاظهم، مع أن العطف عارٍ عن الترتيب»^(١).

القول الثالث: أن الأمر ورد عامًا فيه حصّ على أفعال الخير، فكأنه قال: استعملي السجود في حال، واستعملي الركوع في حال، ولم يذهب إلى أنهما يجتمعان، ثم يقدّم السجود على الركوع، بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين.

قال ابن عطية رحمه الله: «وإنما المعنى: افعلي هذا وهذا، وقد علم تقديم الركوع -أي: في الصلاة- وهذه الآية أكثر إشكالًا من قولنا: قام زيد وعمرو؛ لأن قيام زيد وعمرو ليس له رتبة معلومة، وهذه الآية قد علم أن السجود بعد الركوع، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك؟»^(٢).

القول الرابع: أن مريم أمرت بفعلين ومعلمين من معالم الصلاة، هما طول القيام والسجود أولاً ﴿يَسْرِعُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي﴾، وخصًا بالذكر لشرفهما في أركان الصلاة؛ إذ العبد يقرب في وقت سجوده من الله تعالى، وهذان يختصان بصلاتها منفردة، وإلا فمن يصلي وراء إمام فليس يقال له: أطل قيامك!

ثم أمرت بعد بالصلاة في الجماعة، فقليل

لها: ﴿وَأَزْكِي مَعَ الرُّكْعَيْنِ﴾، وقصد هنا معلماً من معالم الصلاة؛ لثلاثي تكرار اللفظ، ولم يرد بالآية السجود الذي هو منتظم في ركعة واحدة، والله أعلم^(٣).

ونقل ابن كثير رحمه الله قول الأوزاعي «أن مريم ركعت في محرابها ركعة ساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر على قدميها رضي الله عنها وأرضاها»^(٤).

وللفائدة: نذكر مقارنة أجراها الإمام ابن القيم، توضح لنا نقطة مهمة تعتبر سبباً من أسباب تقديم الركوع على السجود؟ أو تقديم السجود على الركوع؟ وذلك في الآيتين التاليتين:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ففيها ترتيب من الخاص إلى العام بين أربعة أشياء: أخصّها الركوع ثم السجود أعم منه، ثم العبادة أعم من السجود، ثم فعل الخير العام، المتضمن لما سبقه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَسْرِعُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي مَعَ الرُّكْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ٤٣].

ففيها ترتيب من العام إلى الخاص،

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٢١٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٥٤.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ٣٨٩.

(٢) التفسير البسيط، الواحدي ٥/ ٢٤٧.

ثمرات الالتزام بالركوع

أولاً: ثمرات دنيوية على مستوى الفرد:

الغاية من خلق الإنسان بل الثقيلين هي:
توحيد الله عقيدة وعبادة.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فعلى الإنسان المؤمن أن تكون عبادته
وحياته ومماته كلها لله تعالى: ﴿قُلْ
إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾، ﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾
[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فخضوع الفرد في هذه الحياة الدنيوية لا
ينبغي أن يكون إلا للمخالق عز وجل وحده لا
شريك له، فإننا نستطيع استخلاص الثمرات
التي يحصل عليها الفرد المسلم في الركوع
لمولاه دون سواه، وأهمها:
١. ثمرات إيمانية.

امثال أمر الله بالركوع والخضوع تذللًا
للمولى سبحانه وتعالى، وتعظيمًا له حسب
التسبيح المأثور.
تحقيق معنى العبودية الخالصة لخالقه
عزّ شأنه.

منح العزة الإيمانية التي تعطي المسلم
الحياة الكريمة، بحيث لا يركع إلا لخالقه
سبحانه.

فتقدّم السجود بسبب تقدّم القنوت الذي هو
أعم منه، ولأن في السجود الدعاء القريب
من القنوت ثم الركوع^(١).

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم ص ٨٠.

استقلال شخصية العبد عن التبعية
للآخرين ممن أشركوا وعبدوا غير الله
تعالى.

حسن الركوع والخشوع من أسباب
قبول الصلاة والتلذذ بالعبادة، وعن قتادة
في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا
يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]: عليكم بحسن
الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان. وقال
قتادة عن ابن مسعود: «أنه رأى رجلاً يصلي
ولا يركع، وآخر يجزّ إزاره، فضحك، قال:
ما يضحكك؟ قال: أضحكني رجلان؛ أما
أحدهما فلا يقبل الله صلاته، وأما الآخر فلا
ينظر الله إليه»^(١).

مغفرة الله لذنوب الراكعين الملتزمين
بأوامره، وزيادة الإحسان إليهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

وقوله: ﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ
مَقَابَ﴾ [ص: ٢٤-٢٥].

محبة الله للمصلين الراكعين الساجدين،
حيث أمر الله إبراهيم مرة بتطهير بيته
الحرام بمكة المكرمة، فقال: ﴿وَلَطَّامَيْنِ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾
[الحج: ٢٦].

وأمر إبراهيم مع ولده إسماعيل مرة ثانية،
فقال: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، [البقرة: ١٢٥].

ثانيًا: ثمرات دنيوية على مستوى
الجماعة:

كل الطاعات لله عز وجل لها فوائد وجني
ثمار يانعة على مستوى الفرد والجماعة،
وقد ذكرنا سابقًا على مستوى الفرد، ونوجز
هنا أهم الثمرات الدنيوية التي تستفيد منها
الجماعة المسلمة، وهي:

١. الحث على صلة الفرد المسلم
بإخوانه يوميًا خمس مرات، عن
طريق أداء الصلاة مع الجماعة، قال
تعالى: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وقوله:
﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، وقوله: ﴿وَأَزْكِي
مَعَ﴾، وقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وقوله:
﴿أَزْكُوا﴾، ﴿وَأَسْجُدُوا﴾، وقوله:
﴿وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾، مما يجعل
الجماعة في ترابط دائم وتعاقد مستمر
في السراء والضراء.

٢. الحث على ارتياد المساجد التي بنيت
لأداء الصلاة والذكر وقراءة القرآن؛ مما
يؤدي إلى إعمارها بجماعة المسلمين،
وبقاء دور المسجد في العبادة والعلم
وجميع ما يلزم لأحوال المسلمين،
قال تعالى: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾،

(١) جامع البيان، الطبري ٢٣/٦١٢.

ثالثاً: ثمرات أخروية على مستوى الفرد والجماعة:

يحرص كل مسلم في هذه الدنيا على القيام بطاعة الله سبحانه ، جاعلاً من دنياه مزرعة لآخرته؛ ليحصل على إرضاء مولاه، ويقطف ثمار ما زرعه في دنياه يوم القيامة والحساب، فيفوز برضى الله وجنته، وقد بين الله عز وجل في آيات الركوع بعض ما يكون للعبد من جزاء في الآخرة، نوجزها بما يلي:

١. بشارة الله سبحانه لمن اتصف بهذه الصفات التسع بأنهم من المؤمنين، وذكر من ضمنها صفة **الرَّكَعُونَ** ، قال الله تعالى: **الْمُكِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْكَاتِبُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** [البقرة: ٥٨].

٢. الوعد بالفلاح في الآخرة للمؤمنين الراكعين، الساجدين، العابدين الله، الفاعلين للخير، قال الله تعالى: **يَتْلِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا رَكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [الحج: ٧٧].

٣. للراكعين الساجدين سيما وعلامة

وقوله: **وَأَذْكُم مَعَ الرَّكْعِينَ** ، فإن (مع) تفيد وجوب أداء الصلاة بشهود الجماعة، وهذا يكون في المساجد^(١).

٣. تركية الجماعة الراكعة لله تعالى بأنهم من عمار بيت الله الحرام في مكة؛ لذا أمر الله خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بتطهير بيته المكرم لهم، فقال: **﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْمَعْكُفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** [البقرة: ١٢٥]^(٢).

٤. الركوع خضوعاً لله تعالى بعد المعصية من أسباب قبول التوبة وتكفير الذنوب، وزيادة الإحسان للعبد من خالقه، قال تعالى: **﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَنْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: ٥٨]^(٣).

٥. وجود الركوع في الصلاة من خصوصيات أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد ذكر هذا بعض المفسرين في تفسير آية: **﴿وَأَذْكُم مَعَ الرَّكْعِينَ﴾** ، حيث قال: إنما خص الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع! ^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٣٤٨.

(٢) جامع البيان، الطبري ٧/ ٦٤٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ١٩٩.

[٤٨-٤٩].

موضوعات ذات صلة:

التسبيح، الذكر، السجود، الصلاة

تميّزهم بها من غيرهم في أرض
المحشر من أثر السجود، وقد وصف
الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم
والذين معه بذلك، فقال سبحانه:
﴿تَرَىٰهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ
السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤. تقرب الله تعالى للعبد المؤمن
المستغفر من ذنبه، الراكع لربه والمنيب
إليه، ومنحه الدرجات العالية في الجنة
على توبته، قال الله تعالى بعد قبول
توبة نبيه داود عليه الصلاة والسلام:
﴿وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ﴾
[ص: ٢٥]^(١).

٥. الوعد بالمغفرة والأجر العظيم في
الآخرة لأصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم، ومن سار على نهجهم،
قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
[الفتح: ٢٩].

٦. كشف كذب المجرمين الذين لم يركعوا
لله في الدنيا أمام الخلائق في أرض
المحشر يوم القيامة، وأن لهم العذاب
الشديد في الآخرة، قال الله تعالى:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَزْكُوا لَا يَرْكُوعٌ﴾،
﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩/٤.